العصبية المفرقة

للأستاذ محمود الشرقاوى

أبرزت الانتخابات البرلمانية التى جرت فى الأسبوع الماضى ظاهرة جزع لها رجال السياسة كما جزع لها المفكرون على السواء

هذه الظاهرة هى تحريك العنصرية الطائفية واستغلالها فى الصراع الانتخابى بين المرشحين والناخبين .

ورجال السياسة والمفكرون من حقهم أن يجزعوا لبروز هذه الظاهرة التى من شأنها - لو أنها لم تتدارك - أن تضعف التماسك الشعبى بين أبناء الأمة وأن تعطل إلى حد كبير سيرها إلى أهدافها الوطنية ووصولها بعد ذلك إلى هذه الأهداف ، وأن تقلل من تقدير الأمم ذوات السيادة للوطن المصرى وللوطنية المصرية ولقيمة الشعب ومكانته من الحضارة والثقافة ومايستتبعه ذلك من اعتراف هذه الدول لمصر بحقها فى الحياة الحرة وتمكينها مما تتطلبه من مركز حسن بين مجموعة الأمم المتحضرة ومكان ممتاز بين مجموعة الشعوب العربية بوجه خاص

ومن المقاييس الصادقة التى تقاس بها حضارة الأمم وثقافتها وحظ طبقاتها من التهذيب مقياس التسامح الدينى والطائفى . فكلما كانت الأمة أعرق حضارة وأعمق ثقافة وأرق تهذيباً ، كانت أبعد بطبقاتها وأفرادها عن التعصب الدينى والعنصرى ، ومما يتصل بأى نوع من أنواع التعصب للأقليم أو المهنة أو التعليم أو الثقافة . وكلما كانت الأمة أقرب إلى البدائية فى حضارتها وثقافتها وتهذيب شعبها احتدّ بين طبقاتها وأفرادها التعصب وتعددت ألوانه ومظاهره .

وكذلك الأفراد يمكن أن يقاس تهذيبهم رفعةً وخفضاً ورقة وغلظة ، وأن تقاس ثقافتهم تعمقاً وسطحية وجوهراً ومظهراً ، بمقياس بعدهم أو قربهم من التعصب لدينهم أو ذاتهم أو إقليمهم أو معهدهم التعليمى أو نوع ثقافتهم .

وهذه كلها بدائه أعتقد أن جمهوراً ممتاز الثقافة والفهم مثل قراء « الرسالة » لابد أن يعرفها ويسلم بها

وكما أبرزت الانتخابات البرلمانية الأخيرة هذه الظاهرة المؤسفة من مظاهر التعصب الطائفى عند فريق من الناس فتدارکها رجال السياسة والنبلاء من المفكرين ، أبرزت حوادث أخرى مثل إنصاف الطبقات والمتخرجين فى الجامعات والمدارس ظاهرة أخرى لنوع آخر من التعصب للمهنة أو الوظيفة أو المعهد أو الثقافة ، وكلها ألوان من التعصب هى كما قلنا تمس إلى حد كبير وحدة الأمة وتماسكها ، ويستطيع بعض الناس أن يجعل منها مقياساً لحضارتها وثقافة مجموعها وفهمه لمقومات الأمم وتهذيب الأفراد .

وقد كان هذا المظهر الأخير من مظاهر التعصب أكثر وضوحا للمشتغلين بالصحافة والذين لهم وعى وحسن إدراك للتيارات الذهنية والموجات النفسية والفكرية المجتمع المصرى . كما كان أبرز وأوضح لمن تولوا شؤون هذا الأنصاف للطبقات والخريجين والحاصلين على مختلف الأجازات العلمية والشهادات المدرسية وكم سمعنا وقرأنا لهؤلاء الذين تولوا هذه الشؤون فأدركنا أن الأمر جدّ ، وأنه مما يستحق أن يشتغل به المفكرون والذين لهم غيرة على وحدة الأمة الثقافية أو تماسكها الثقافى على الأقل .

وقد كان مما يهون - إلى حد ما - من شأن التعصب العنصرى والطائفى أن فشوه قاصر على السواد وأبناء الشعب وأن الساسة والمفكرين يقضون على سمومه عند أول نهزة .

ولكن هذا اللون الجديد من التعصب الثقافى ليس فاشياً بين السواد ولا بين أبناء الشعب ، ولكنه قائم محتدم بين الخاصة والمثقفين منه ، وأن أحداً لم يدرك خطره ولا شره فيعمل على خلاص هؤلاء المثقفين والخاصة منه ، ويعمل على أن يعود بهذه الشيع من المتخاصمين المتنابذين إلى مايجب أن يكونوا عليه جميعاً من رفعة التهذيب ، ومن تعمق الثقافة وسعة الصدر والأدراك

وقد يكون للسواد والجهلة شيء من العذر فى أن يتعصبوا وأن يفترقوا وأن يخاصم بعضهم بعضاً فيما لايجب أن يكون بينهم فيه خصام ، أوفيما يجب ألا يكون بينهم فيه خصام ، وأن يميز بعضهم بعضاً أو يفاضل بعضهم بينه وبين بعض آخر فيما يجب ألا يكون بينهم فيه تفاضل ولا تمايز . ولكنه لا عذر للمثقفين - إذا أرادوا أن يكون لهم من هذا الوصف نصيب - فى أن يتنابذوا ولا يتعصب كل منهم وينحاز إلى جانب يراه أرفع شأنا وأميز ثقافة وأقوم فى حياة الأمة وفى نفعها ، ليس لأنه كذلك فى واقع الأمر ، ولكن لأنه هو من هذا الطريق .

محمود الشرقاوى